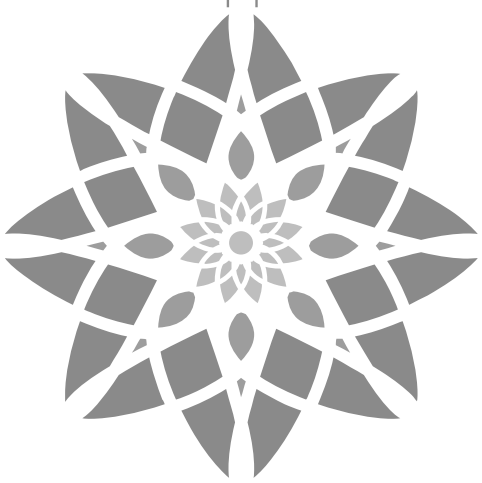


# الباب الثالث:

## عهد الخلفاء الراشدين (١١ -٤١ هـ) (٦٣٢ -٦٦١م).

**قال رسول الله ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ».**

**رواه أبو داود والدارمي والترمذي وابن ماجه وابن حنبل.**

## تقييم هذه المدة

لم تتجاوز الخلافة الراشدة (٣٠) عامًا، وقد تميزت بأن الخلفاء ساروا على نهج رسول الله ﷺ تمامًا، حسب الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله لعباده، فكانت هذه الفترة هي الصورة الصحيحة للحكم الإسلامي، وللدولة الإسلامية. وهذه الصورة يجب أن تكون القدوة لكل حاكم يريد لنفسه السعادة في الدارين، ولشعبه الصلاح والحياة السعيدة.

وقد بلغت الحضارة في هذه المدة أوجها، والمقصود هنا الحضارة الإنسانية النابعة من العقيدة، والتي تسعى لتحقيق سعادة الإنسان.

حيث حصل الأفراد على السعادة التامة في المساواة والعدل والأمن والطمأنينة، والحاجات الأساسية.

وفي أواخر هذه المدة، ظهرت الفتن التي عصفت بالمسلمين، وفرقتهم إلى أحزاب وفرق، ولا زالوا إلى الآن على هذا الحال، فالله المستعان.



## الفصل الأول

## أبو بكر الصديق (١١ - ١٣هـ) (٦٣٢ - ٦٣٤م)

### حياته في الجاهلية:

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وبنو تيم أحد بطون قريش الاثنى عشر وهي ليست من البطون الكبيرة.

يلقب بالعتيق، ويكنى بأبي بكر، ويعرف بالصديق، وكان في الجاهلية من وجهاء قريش وأشرافهم، وكان أعرف قريش بالأنساب، وكان تاجرًا، حرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية، ولم يسجد لصنم قط، وكان صديقًا للنبي ﷺ في الجاهلية، ودخوله في الإسلام وسبقه رفعه عمن سواه وأشهره، وهو يعد الشخص الثاني في الإسلام بعد رسول الله ﷺ.

### حياته في الإسلام:

كان أول من أسلم من الرجال، قال الرسول ﷺ: «**ما حكمت في الإسلام أحدًا إلا أبى عليّ، وارجعني الكلام، إلا ابن أبي قحافة، فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه**»، وصحب أبو بكر النبي ﷺ من حين أسلم، إلى أن تُوفي، وهاجر معه وكان صاحبه في الغار أثناء الهجرة: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠] وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، وثبت يوم أحد وحنين، وقد فرَّ الناسُ، وكان من أشجع الناس، يثبت في المعارك، ولا يحيد خطوة عن الرسول ﷺ، يدافع ويذود عنه، وكان كريمًا، أنفق معظم ماله في سبيل الله، وهو

المقصود بقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾[الليل:١٧-١٨] قال الرسول ﷺ: «**ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر**».

في غزوة تبوك تصدَّق بكل ماله لتجهيز الجيش، وكانت راية المسلمين في يده في هذه الغزوة، أسلم على يده عدد كبير من كبار الصحابة، منهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وقد اشترى وأعتق عدد من المعذبين منهم بلال بن رباح، وعامر ابن فهيرة، وزنيرة وغيرهم، بعثه الرسول ﷺ أميرًا على الحج في عام (٩هـ/ ٦٣٠م). وعندما مرض الرسول ﷺ مرض الموت، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**».

**بيعته:**

بعد وفاة الرسول ﷺ، شعر الأنصار، وهم أهل المدينة، أنهم بحاجة إلى اختيار خليفة يتولى شؤون المدينة، وأمر المسلمين، وإلا تعرضت المدينة للتهديد، وقد ظنوا أن المهاجرين ربما يعودون إلى موطنهم مكة، فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وتشاوروا بينهم، واتفقوا على اختيار سعد بن عبادة. علم المهاجرون، فجاء أبو بكر وعمر والزبير وغيرهم، فخطب أبو بكر ومما قاله: إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش، وأكد عمر على ذلك. فاقتُرِح أن يتولاها مهاجري ثم أنصاري وهكذا. وقوبل هذا بالرفض، ثم اقترح بعض الأنصار: أن يكون من المهاجرين أمير، ومن الأنصار أمير، ورفض هذا الرأي، وعندما اقتنع الأنصار بأحقية المهاجرين في الخلافة وافقوا على البيعة لأبي بكر، فتقدم عمر وبايع أبا بكر، ثم بايعه كل أهل السقيفة، وفي اليوم الثاني بايعه الناس البيعة العامة، وخطب في المسجد، فكان مما قاله: «أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم».

### أعماله وفتوحاته:

كانت فترته قصيرة (سنتين و٣ شهور)، وكانت مليئة بالأعمال الجليلة، أهمها:

### إنفاذ جيش أسامة بن زيد:

اقترح الكثيرون عدم إرسال هذا الجيش، نظرًا لردة أغلب سكان الجزيرة، وإحداق الخطر بالمدينة، ورغم ذلك أنفذه أبو بكر، تنفيذًا لأمر الرسول ﷺ مهما كانت النتائج، وفي إرسال هذا الجيش بيان للجميع بقوة المسلمين المادية والمعنوية، وعاد الجيش منتصرًا، وكان ذلك سببًا في ثبات الكثيرين على الإسلام.

### حروب الردة:

بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت الجزيرة عن الإسلام، ما عدا مكة والمدينة والطائف، فقسم من المرتدين عادوا إلى الكفر واتباع مدّعي النبوة، وقسم امتنعوا فقط عن دفع الزكاة، فأشار الصحابة بعدم قتالهم نظرًا للظروف الحرجة، ولخروج جيش أسامة ابن زيد فرفض بكل شدة، وقال قولته المشهورة: (والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه).

بمجرد أن شيَّع أبو بكر جيش أسامة جعل الصحابة على منافذ المدينة لحراستها، وأمر المسلمين بالتواجد في المسجد للطوارئ خوفًا من مهاجمة المدينة، وحصلت غارة فردوها، وكان يخرج بنفسه إلى المنافذ.

جاءت بعد فترة قصيرة صدقات كثيرة، ومن جهات عديدة، وبعد شهرين عاد جيش أسامة منتصرًا كما أسلفنا. فعقد أبو بكر (١١) لواءً لقتال المرتدين في كل الجزيرة، أختار لقيادتها أعظم قادة الصحابة، أمثال خالد بن الوليد.

انطلق خالد وقاتل أسد وغطفان وعامر، وكان يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي (مدعي النبوة)، فالتقاهم خالد عند بئر بُزاخة، فنكَّل بهم، حتى انهزموا وتابوا.

ثم سار إلى منازل بني يربوع وبني تميم بالبطاح، وقد تنبأت فيهم سجاح، وقاتلهم، فقتل قائدهم مالك بن نويره وأخضعهم.

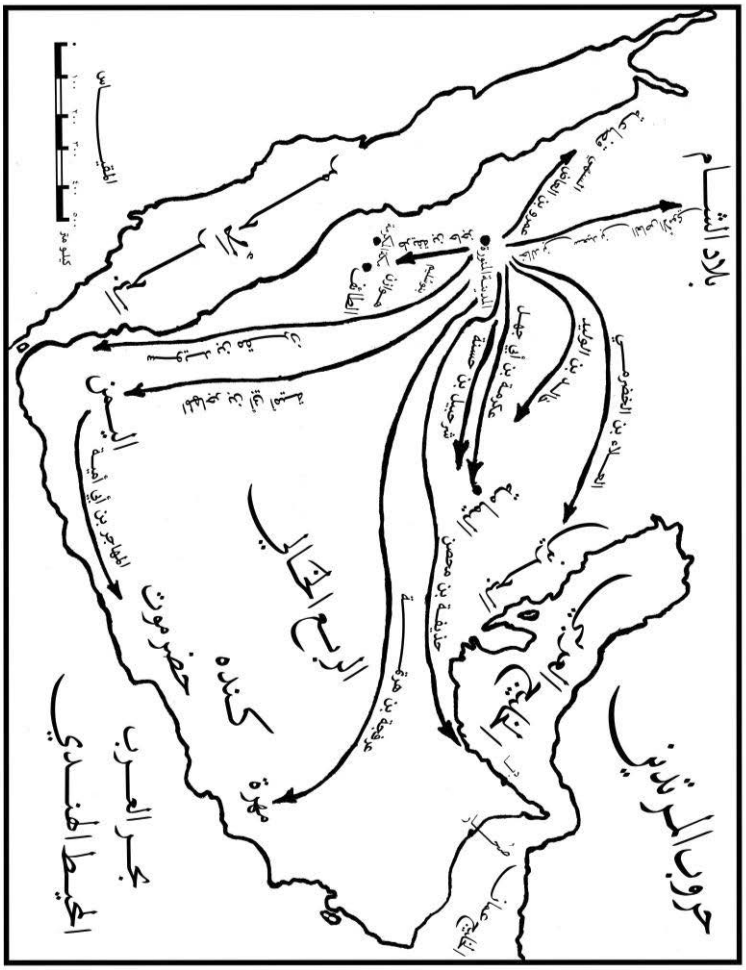
### معركة اليمامة (١١ هـ/٦٣٢م):

ثم سارت الجيوش إلى بني حنيفة في اليمامة، وقد تنبأ فيهم مسيلمة الكذاب، نشب قتال ضاري. وانتصر المسلمون أخيرًا. وقتل مسيلمة، وتاب القوم وعادوا إلى الإسلام، وقد استشهد في المعركة عدد كبير من الصحابة، ومن حملة القرآن. وهذا ما حمل أبو بكر فيما بعد إلى التفكير في جمع القرآن بين دفتي مصحف.

أرسل أبو بكر جيوشًا بقيادة حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة وعكرمة إلى أهل عمان ودبا ومهرة، فأخضعا تلك الجهات.

ثم أخضعت حضرموت واليمن، وكان قد تنبأ فيها الأسود العنسي. ومن قوادها المشهورين المهاجر بن أبي أمية، وعكرمة بن أبي جهل.

أرسل العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، فأخضعها ودانت له. ثم أخضعت باقي الجهات بالقتال أو عادت إلى الحق بدون قتال، فاستقرت الأمور في الجزيرة العربية، ودانت أطرافها، ورفرف الإسلام عليها.


بلاد الشام
حروب المرتدين
الربع الخالي
حضرموت
مهرة
كنده
بحر العرب
المحيط الهندي
اليمن

## الفتوحات الإسلامية

انتهت حروب الردة، وكان لا بد من الجهاد، وأعداء الدولة كانوا الفرس والروم، وهما أعظم إمبراطوريتين في ذلك الوقت، ولحسن الحظ إنهما كانتا على خلاف وعدم اتفاق وهذا ما سهل مهمة المسلمين، فقاتلوا على جبهتين في وقت واحد.

### ١- الجبهة الشرقية (الفرس):

سيطر الفرس على مناطق واسعة، تشمل العراق، وغرب الشام، وشمال الجزيرة، وخضعت لهم كثير من القبائل العربية، وكانت هذه القبائل تعمل على توطيد سلطان الفرس في مناطقها.

قاد الجيوش الإسلامية في تلك الجهات خالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة، فحققوا انتصارات، ففتحوا الحيرة وبعض المدن العراقية، منها الأنبار وعين التمر والفراض وغيرها. بعدها أمر الخليفة خالدًا بالتوجه للانضمام إلى جيوش الشام.

### ٢- الجبهة الشمالية (الروم):

سيَّر أبو بكر إلى الشام الجيوش التالية:

أ- جيش بقيادة يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق.

ب- جيش بقيادة عمرو بن العاص إلى فلسطين.

ج- جيش بقيادة شرحبيل بن حسنه إلى الأردن.

د- جيش بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى حمص (وله القيادة العامة)، وكان مجموعها (٢١٠٠٠) مقاتل.

### بداية معركة اليرموك (١٣ هـ/٦٣٤م):

أمر الخليفة خالد بن الوليد -كما ذكرنا- بالتوجه بجيشه إلى الشام، وتولي القيادة العامة، فنفذ الأمر، وقام برحلة تاريخية متخطيًا الصحاري الشاسعة غير المأهولة. فوصل إلى الشام بعد (١٨) يومًا، تجمع المسلمون، ووصل عددهم إلى (٣٦) ألف. ونظم خالد الجيش وقسمه، وكان ذلك على رافد من روافد نهر الأردن يسمى (اليرموك)، نشب القتال، وكان عنيفًا، وأثناء ذلك جاء البريد بموت الخليفة أبو بكر وتولية عمر، وعزل خالد عن القيادة، وتأمير أبي عبيدة، وذلك في جمادى الآخرة عام (١٣هـ/ ٦٣٤م).

**ملاحظة:** مما يذكر بالفخر والإعجاب لخالد تلقيه خبر العزل برضا وقبول مع أنه كان في أوج نصره، واستمر يقاتل بجد وإخلاص تحت إمرة القائد الجديد. وقد سبق أن وقف أبو عبيدة نفس هذا الموقف الرائع عندما طلب منه أبو بكر أن يسلم القيادة العامة لخالد.

إنها في الحقيقة نماذج إسلامية رائعة، ستظل ذكراها عطرة على مر السنين.

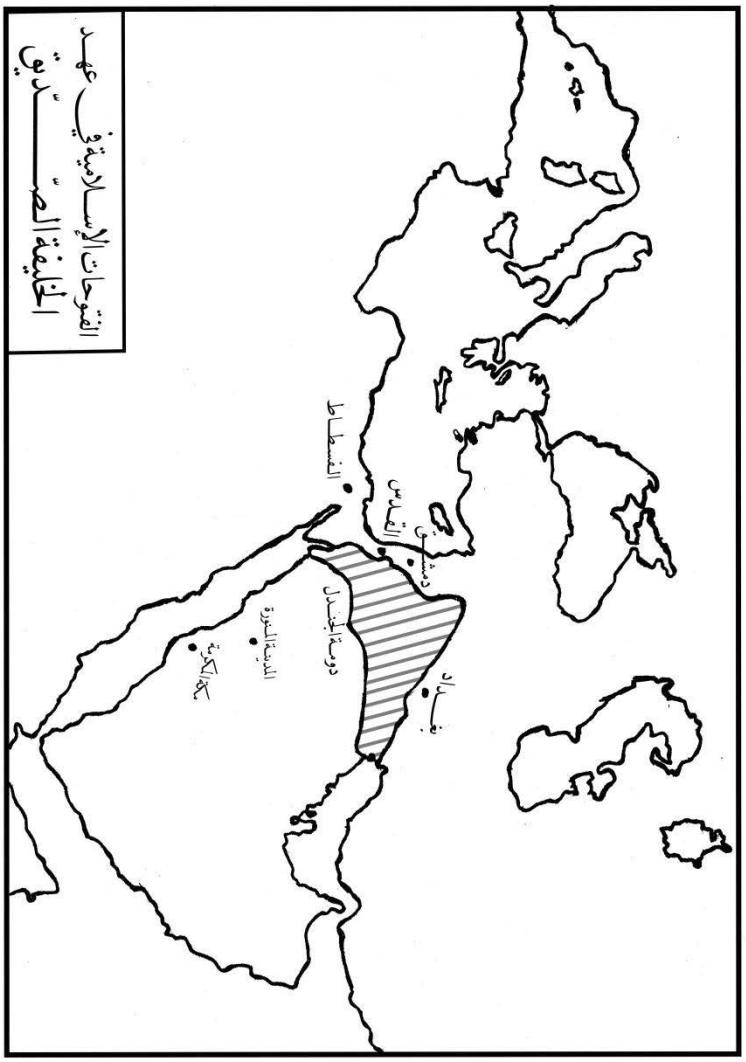
ومن الأعمال الجليلة التي تمت في عهده جمع القرآن الكريم.

### جمع القرآن الكريم عام (١٢هـ/٦٣٣م):

أمر الصديق زيد بن ثابت أن يجمع القرآن من اللحاف والعسب وصدور الرجال، وذلك بعد استشهاد عدد كبير من القراء في معركة اليمامة، بقصد المحافظة على القرآن من الضياع، وكان عمر قد أشار عليه بذلك، فجمع القرآن بين دفتي مصحف واحد، فكان هذا أول جمع للقرآن.

### وفاته:

لما شعر أبو بكر بمرض الموت واشتد عليه، أراد أن يولي خليفة بعده حتى لا يختلف المسلمون، فوقع اختياره على عمر، فاستشار كبار الصحابة، فكلهم أيد ذلك فكتب وصيته بذلك، ومات الصديق بعدها بأيام. وكان ذلك في جمادى الآخرة عام (١٣هـ/ ٦٣٤م)، رضي الله عن أبي بكر، لقد قام بأعمال جدُّ جليلة، وتمثلت فيه كل المعاني الإسلامية السامية.


الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الصديق
الفسطاط
دمشق
القدس
دومة الجندل
المدينة المنورة
مكة المكرمة
فيد
حائل



## الفصل الثاني

## عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣هـ) (٦٣٤ - ٦٤٣م)

### نسبه وحياته في الجاهلية:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، من بني عدي بن كعب، وهم بطن صغير من قريش، لم يكن في جاهليته صاحب مركز أو شهرة، بل كان فردًا عاديًا، ولولا الإسلام لما اشتهر، ولما عرفه أحد بعد ذلك. وعُرِف بالشجاعة، كما عرف عنه عناده للإسلام، وشدة إيذائه للمؤمنين في جاهليته، أسلم في السنة السادسة من البعثة، فيكون عاش (٣٥) سنة في الجاهلية، و (٣٠) سنة في الإسلام.

### حياته في الإسلام:

قصة إسلامه: اتجه يومًا غاضبًا إلى الرسول ﷺ ليقتله، فقابله نعيم بن عبد الله النحام، وهو مؤمن ومن قومه، فلما عرف قصده خاف على الرسول ﷺ، فقال لعمر: «هلا بدأت بأهل بيتك إن أختك فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما»، فاتجه إليهما وهو في أشد الغضب، فلما وصل سمع تلاوة داخل البيتِ، وقد كان عندهما خباب ابن الأرت يتلو سورة طه، فدخل وبطش بسعيد بن زيد فقامت أخته تدافع عن زوجها، فلطمها، فسأل الدم منها، فلما رأى ذلك رق قلبه، فطلب الصحيفة التي فيها الآيات، فرفضا إلا أن يغتسل فاغتسل، فقرأها، فقال: «ما أحسن هذا الكلام!!»

فقال خباب: أرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته يقول: «**اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين**» عمرو بن هشام (أبو جهل)، أو عمر بن الخطاب.

فقال عمر: «دلني على محمد». فذهب به إليه، وكان عنده الصحابة، فأسلم، فسُرَّ الرسولُ ﷺ بذلك أعظم السرور.

قال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة، فصلينا معه، وسماه الرسول ﷺ الفاروق، ولم يكن يجرؤ أحد من قريش على إيذائه.

كان جريئًا شجاعًا، لما عزم على الهجرة إلى المدينة طاف بالكعبة، وصلى ثم قال: «من أراد أن تثكله أمه فليلقني خلف هذا الوادي»، فخرج، ولم يلقه أحد، وكان من الصحابة الذين يستشيرهم الرسول ﷺ، ولربما نزل الوحي بما يؤيد رأيه. فبعد غزوة بدر استشار النبي ﷺ أصحابه فيما يفعل بالأسرى، فأشار عمر بقتلهم، وأشار أبو بكر بفدائهم، فأخذ الرسول ﷺ برأي أبي بكر، فأنزل الله وحيه مؤيدًا لرأي عمر، ومعاتبًا رسوله، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ ﴾[الأنفال: ٦٧].

كان يتمنى تحريم الخمر، فنزل القرآن بذلك فطابت نفسه، كذلك كان يتمنى فرض الحجاب وبخاصة على نساء النبي ﷺ، وطابت نفسه عند نزول آية الحجاب.

وعندما تُوفي رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وأراد النبي ﷺ الصلاة عليه، جادله عمر وناقشه، فنزل الوحي بعد ذلك مطابقًا لرأي عمر. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[التوبة: ٨٤].

وقد حضر عمر المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، وكان من الملازمين له في المعارك، لا يفارقه أبدًا، يدافع ويذود عنه، وكان لا يجتهد بل ينفذ كلام الله ورسوله حرفيًا، ويُعد عمر الصحابي الثاني بعد أبي بكر الصديق. وفي عهد الصديق، كان عمر مستشاره، واليد اليمنى له، والمشارك له في تسيير شؤون الدولة.

**مبايعته:**

عندما مرض أبو بكر وشعر بالموت، أراد أن يولي خليفة على المسلمين حتى لا يقع الخلاف بينهم، فوقع اختياره على عمر، فاستشار كبار الصحابة، فأيدوه، لما مات أبو بكر بايعه المسلمون.

**الفتوحات:**

تمت في عهد عمر أعظم الفتوحات الإسلامية على مر العصور، فقد تم طرد الروم وإنهاء وجودهم في الشام، وتم القضاء على الإمبراطورية الفارسية تمامًا، ثم انتقل القتال إلى مصر وشمال أفريقية وجزر البحر المتوسط.

### أولاً: الجبهة الشمالية (فتوحات بلاد الشام):

#### ❖ معركة اليرموك (١٤هـ/٦٣٥م):

عندما تولى عمر الخلافة، كان المسلمون بقيادة خالد بن الوليد مجتمعين أمام جموع الروم الهائلة، (تجاوزوا ٢٠٠ ألف مقاتل، والمسلمون حوالي ٢٤ ألف فقط) نشب القتال، فكانت معركة حامية، زلزل الله فيها الكفار، ففر الروم وتابعهم المسلمون فأسروا وغنموا الكثير.

#### ❖ فتح دمشق وبقية مدن الشام:

ثم تقدمت الجيوش الإسلامية بقيادة أبي عبيدة ومعه خالد نحو مدن الشام، فاستولت على فحل وبيسان ثم دمشق فحمص، وبعدها قنسرين وقيسارية والبقاع وبعلبك. ثم فتحوا أجنادين. ومدن الجزيرة (الرها ونصيبين) وغيرها.

### ❖ فتح بيت المقدس عام (١٥هـ/٦٣٦م)[١]:

حاصرت الجيوش الإسلامية بيت المقدس، فطلب حكامها أن يقدم عليهم عمر بنفسه ليستسلموا له، فقدم إلى الشام، فسلموا له مفتاح بيت المقدس، وصالحهم على الجزية، وصلى بالمسلمين في المسجد الأقصى.

وتم فتح حلب ومنبج وإنطاكيه وحران والرها وباقي المدن صلحًا.

### ❖ فتح سواحل بلاد الشام:

تولى معاوية بن أبي سفيان فتح المدن الساحلية بأمر أبي عبيدة، ففتح صور وصيدا وبيروت وطرابلس. بذا أصبحت بلاد الشام كلها بيد المسلمين وتم طرد الروم منها. وهكذا تم فتح سوريا وفلسطين.

### ❖ فتح مصر (٢٠ هـ/٦٤٠م):

كان لا بد من الزحف لفتح مصر، بعد فتح سوريا وفلسطين، فهي كانت خاضعة للروم، ولن يستقر الأمر للمسلمين إذا لم يتم فتحها، فكان ذلك.

لما فتح عمرو بن العاص فلسطين، استأذن من عمر أن يفتح مصر، فوافق، فسار إليها، وعرض الإسلام أو الجزية أو القتال (كما يفعل المسلمون قبل كل قتال) نشب القتال، وانتصر المسلمون، وفُرِضت الجزية عليهم، ثم تقدم المسلمون، وفتحوا الإسكندرية (مقر المقوقس)، وكانت عاصمة مصر، وبنوا هناك مدينة الفسطاس (مكان خيمة عمرو بن العاص). وفتحوا بقية المدن، وفرضوا الجزية عليها، وهكذا أصبحت مصر تابعة للخلافة الإسلامية.

---

(١) البداية والنهاية/ ابن كثير (٧/ ٥٥).

### ❖ فتح برقة (ليبيا):

ثم سار عمرو بن العاص غربًا وفتح برقة ثم زويلة، فطرابلس وصبراته وشروس، ومنعه عمر أن يتقدم أكثر من ذلك غربًا.

### ثانيًا: الجبهة الشرقية (مع الفرس):

بعد فتح دمشق عاد جيش خالد إلى العراق بأمر الخليفة، كما أرسل جيشًا بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ثم أضاف مددًا بإمرة جرير البجلي، ساروا باتجاه الكوفة، وتلاقيا، والتقيا بجيش من الفرس، فهزمهم المسلمون.

### ❖ معركة النمارق (١٣هـ/٦٣٤م):

التقى أبو عبيد الثقفي بالفرس في النمارق (بين الحيرة والقادسية) فألحق بهم هزيمة منكرة، ففروا إلى المدائن.

### ❖ معركة الجسر: شعبان (١٣هـ/٦٣٤م):

أرسل الفرس جيشًا كثيفًا لقتال المسلمين، فجرت معركة عنيفة، استشهد فيها القائد أبي عبيد، والقواد الذين بعده، فتولى القيادة المثنى بن حارثة وواصل القتال، ثم انسحب بالمسلمين، وقد جرح جرحًا بليغًا، وقد قتل وغرق من المسلمين كثير.

### ❖ معركة البويب: رمضان (١٣هـ/٦٣٤م):

كانت قرب الكوفة، وبقيادة المثنى، وانتصر فيها على الفرس انتصارًا ساحقًا، ثم جاء مدد بقيادة سعد بن أبي وقاص، وأمر بتعيينه قائدًا عامًا.

### ❖ معركة القادسية الكبرى: ١٦هـ/٦٣٧م:

قدم سعد مع الجيوش الإسلامية، فعسكر في (القادسية) وأرسل يزدجرد كسرى الفرس قائده رستم على (١٢٠) ألف مقاتل، ومثلهم مددًا، أرسل سعد رسلًا إلى رستم فقاموا بعرض الإسلام أو الجزية أو القتال، وقد تجلى في هؤلاء الرسل أنفة الإسلام وعزته، فمما قالوه: «جئنا لنخرجكم من عبادة العباد إلى عبادة الله». نشب القتال. واستمر عنيفًا لمدة أربعة أيام، استخدم الفرس فيلة ضخمة ففقأ المسلمون عيونها، فرجعت على الفرس وقتلتهم، انتهت المعركة بانتصار عظيم للمسلمين، فقد قتل قائد الفرس ومعظم جنده، وغنم المسلمون غنائم هائلة جدًا، وبشروا الخليفة بذلك.

### ❖ فتح العاصمة وبقية المدن وإنهاء الإمبراطورية الفارسية:

تقدم المسلمون نحو المدائن، التقوا بعدة جيوش من الفرس فسحقوهم، فتحصن الفرس أخيرًا بمدينة (بهرسير) الحصينة في المدائن. ثم فروا إلى داخل المدائن، فتبعهم المسلمون[1].

### ❖ فتح المدائن: صفر (١٦هـ/٦٣٧م):

دخل المسلمون المدائن وهي عاصمة الفرس ومركز حكمهم، وكانت خالية فقد فرَّ كسرى فارس (يزدجرد) وفرَّ أهلها، سكن سعد في القصر الأبيض (قصر يزدجرد) واتخذ الإيوان مصلى، وغنم المسلمون غنائم هائلة من خزائن كسرى، فتلا سعد قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الدخان: ٢٥- ٢٩]. وهكذا سقطت العاصمة الفارسية العريقة في أيدي المسلمين.

ولا شك أن سقوطها آذن بالانهيار الكامل للإمبراطورية الفارسية.

---

(١) المصدر السابق، (٧/ ٦٤).

### ❖ فتح جلولاء:

وهي المدينة التي فرَّ إليها يزدجرد، وتجمع معه الفرس هناك، فتحصنوا بها، فتقدم إليها المسلمون وفتحوها، وانتصروا انتصارًا عظيمًا، ولم تقل غنائمها عن المدائن.

ثم فتح المسلمون حلوان، تكريت، الموصل، ماسبذان، الأهوز، تستر، السوس، جنديسابور.

وقبض المسلمون على الهرمزان وهو من أكابر الأمراء وأرسلوه إلى عمر مع الغنائم.

### ❖ فتح نهاوند (فتح الفتوح) (٢١هـ/٦٤١م):

أراد عمر أن يسير بنفسه لإكمال قتال الفرس، فمنعه الصحابة، فسير النعمان ابن مقرن المزني إلى نهاوند على (٣٠) ألف. ووصلت جموع الفرس إلى (١٥٠) ألف مقاتل نشبت المعركة، وكانت حامية، قتل فيها من الفرس أكثر من (١٠٠) ألف، وتجلل وجه الأرض بجثثهم، وقتل قائدهم (الفيرزان)، واستشهد النعمان في المعركة، وتولى بعده حذيفة بن اليمان، ففتحت نهاوند، وكان نصرًا عظيمًا مبينًا. ثم واصل المسلمون تقدمهم، وفتحوا إصبهان، وقاشان (قم) وكرمان.

### انسياح المسلمين في فارس (٢٢- ٢٣هـ) (٦٤٢- ٦٤٣م):

كان عمر يرفض انسياح المسلمين في فارس الواسعة، خوفًا عليهم من الضياع حتى أقنعه الأحنف بن قيس بذلك. بعدها انساحت الجيوش الإسلامية على أرض فارس.

١- فتح نعيم بن مقرن همدان ثم الري (طهران)، وصالح أهل (جرجان) وطبرستان، ووصل إلى بعض بلاد أذربيجان.

٢- فتح سراقة بن عمرو باب الأبواب (دربند) على سواحل بحر الخزر الغربية.

٣- فتح الأحنف بن قيس بلاد خراسان.

٤- فتح عثمان بن أبي العاص بقية إصطخر وشيراز وأرمينيا.

٥- فتح عاصم بن عمرو التميمي سجستان.

٦- فتح سهيل بن عدي كرمان.

٧- فتح الحكيم التغلبي مكران.

٨- وفتح عتبة بن فرقد شمال غرب بلاد فارس.

وهكذا قضي على الإمبراطورية الفارسية من على الوجود. يخيل للإنسان كأن الجزيرة العربية تحولت إلى جيش يجاهد في سبيل الله لنشر الإسلام في بقاع الأرض.

**ملاحظة:**

وهكذا سقطت فارس عسكريًا، ولكنهم ظلوا يصارعون الإسلام فكريًا، وكان ذلك من أهم أسباب ضعف العالم الإسلامي. فهم كانوا سبب الانحراف في بعض الاتجاهات الشيعية، وهم وراء معظم الحركات الهدامة التي أرادت تدمير الإسلام مثل حركات الزنادقة والزنج والقرامطة وسنباذ والمقنع المروزي وبابك الخُرَّمي وغيرهم[1].

### استشهاد الخليفة:

استشهد ﷺ في مؤامرة دبَّرها بعض أعداء الإسلام من اليهود والفرس (الحاقدين عليه، لكونه سبب زوال ملكهم).

فمات نتيجة طعنات تلقاها أثناء صلاته من أبي لؤلؤة المجوسي (مولى فارسي) بخنجر مسمومة، وقبل موته اختار ستة صحابة من المبشرين بالجنة وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وابن عوف وابن الوقاص، وأوصى هؤلاء الستة أن يختاروا واحدًا من بينهم خليفة.

كانت وفاته في ذي الحجة (٢٣هـ/ ٦٤٣م)، ودامت خلافته عشر سنوات.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي/ د. أحمد شلبي (١/ ٤٠٢).

**من أعماله:**

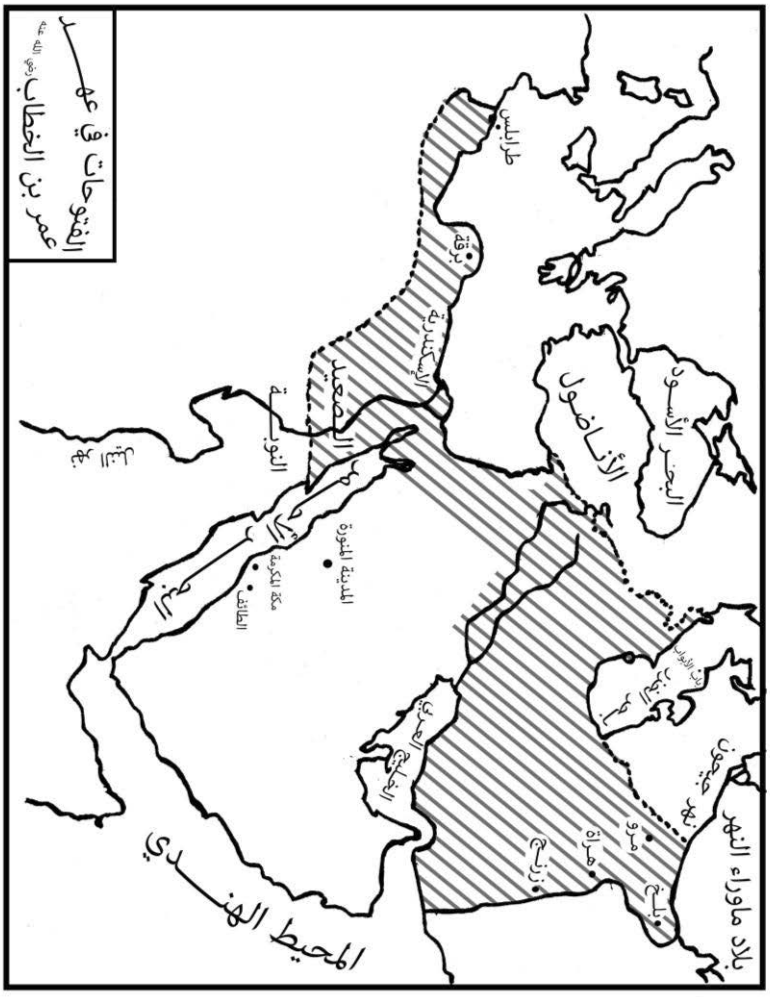
- الخليفة عمر رضي الله عنه أول من تلقب بأمير المؤمنين.

- وهو أول من دون الدواوين، فكان ديوان الجند وديوان العطاء (الديوان كالوزارة حاليًا) ورتب البريد، وصك النقود.

- وهو الذي وضع التاريخ العربي، فجعله بالهجرة النبوية الشريفة.

- وقام بتوسعة الحرم.

استشهد عمر مخلفًا سيرة من أعظم السير التي يرويها التاريخ ويسجلها بمداد الفخر.


الفتوحات في عهد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه
طرابلس
برقة
الإسكندرية
الأناضول
البحر الأسود
النوبة
المدينة المنورة
مكة المكرمة
الطائف
الخليج العربي
بلاد ماوراء النهر
نهر جيحون
مرو
بلخ
هراة
زرنج
المحيط الهندي

## الفصل الثالث

## عثمان بن عفان (٢٣- ٣٥هـ) (٦٤٤- ٦٥٦م)

### نسبه وحياته:

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، فهو من بطن بني أمية، ومن ساداتها، وكان تاجرًا كريمًا جوادًا. وكان من كبار الأثرياء قبل الإسلام وبعده.

### إسلامه وفضله:

أسلم على يد أبي بكر، وكان من السابقين، فهو من العشرة الأوائل الذين أسلموا، وكان يمتاز بصفتين:

**الحياء**: فما كان إنسان أشد حياءً منه، حتى كان النبي ﷺ يستحي منه. ويقول: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»(١).

**الكرم**: فلم يكن في قريش من هو أكرم منه.

تزوج عثمان ابنتي الرسول ﷺ رقية ثم أم كلثوم، فسمي (ذو النورين) شهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها، بعثه الرسول ﷺ إلى قريش في عام (٦هـ/ ٦٢٧م)، ليبلغهم أنهم قدموا للعمرة فقط، وكان الرسول ﷺ نازلًا بالمسلمين في الحديبية قرب مكة. فقام عثمان بمهمته خير قيام، وقد رفض إغراء قريش عندما رغبوه بالطواف، فقال: «ما كنت أفعل حتى يطوف رسول الله». وأُشيع أنه قتل في مكة، فقال الرسول ﷺ: «**لا نبرح حتى نناجز القوم**».

---

(١) رواه مسلم.

فبايعه المسلمون على عدم الفرار، وسميت بيعة الرضوان، وكانت من أجل عثمان. وفي غزوة تبوك حين كان الناس في شدة وعسر، تبرع عثمان بـ (٩٥٠) بعيرًا، و(٥٠) فرسًا، وجاء بـ (١٠٠٠) دينار للرسول ﷺ، فقال الرسول ﷺ: «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**». وتُوفي الرسول ﷺ وهو عنه راضٍ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وقد أثر عن الرسول ﷺ قوله: «**لكل نبي رفيق. ورفيقي في الجنة عثمان**». وفي عهد الصديق كان يعد ثاني اثنين بعد عمر في تسيير شؤون الدولة.

وفي عهد عمر كان الرجل الثاني في الدولة، فاجتمع لين عثمان مع شدة عمر.

### خلافته:

بعد أن طُعِن عمر جعل الشورى في ستة من الصحابة -كما مر معنا-، اجتمع هؤلاء الستة بعد دفن عمر، حتى اختاروا عثمان من بينهم، وكان عثمان في السبعين من عمره حين توليته.

### الفتوحات في عهده:

استمرت الفتوحات الإسلامية في عهده، وقد خاض المسلمون ميدان الفتوحات البحرية في أيامه.

#### أولاً: الجبهة الغربية:

استعاد الروم الإسكندرية عام (٢٥هـ/ ٦٤٥م) فقام عمرو بن العاص بإخضاعها مرة أخرى.

**أفريقية**: سمح عثمان للجيوش بالانسياح في أفريقية، فسار عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، فاجتاز طرابلس، والتقى بجيوش بيزنطة في سبيطله، وحقق الانتصار عليهم عام (٢٧هـ/ ٦٤٧م). وبذلك انضم للدولة الإسلامية: برقة وطرابلس وغرب مصر وجزء من بلاد النوبة.

غزا معاوية بن أبي سفيان قبرص، وفتحها عام (٢٨هـ/ ٦٤٨م)، وكان عمر قد رفض دخول المسلمين في البحر، وسمح عثمان بذلك.

**معركة ذات الصواري (٣١هـ/ ٦٥١م):**

أول معركة بحرية يخوضها المسلمون (فقد أصبح للمسلمين بحرية في عهد عثمان) وكانت ضد الروم على شواطئ كيليكيا، وقاد المسلمين عبد الله بن أبي السرح من قبل معاوية بن أبي سفيان، وهزم فيها الروم شر هزيمة، وقتل قائدهم الإمبراطور قسطنطين.

غزا معاوية الروم ووصل إلى حدود عمورية (قرب أنقرة) عام (٣٣هـ/ ٦٥٣م).

**ثانيًا: الجبهة الشرقية:**

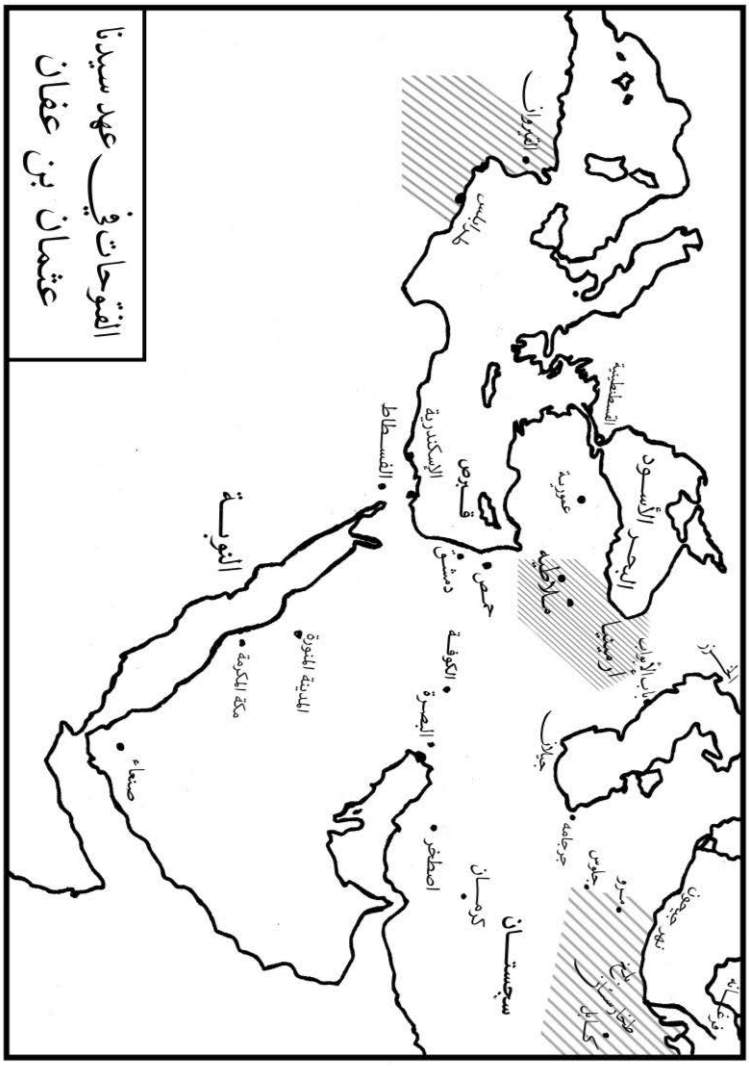
وصل القائد عمير بن عثمان إلى فرغانة عام (٢٩هـ/ ٦٤٩م)، ووصل عبد الله الليثي إلى كابل، وعبيد الله التميمي إلى نهر السند، وفتح سعد بن العاص جرجان.

انتقضت فارس، فأخضعها عبد الله بن عامر، فهرب يزدجرد إلى كرمان ثم خراسان حيث قتل هناك.

وأعيد فتح المناطق التي نقضت عهودها.

وهكذا فالفتوحات أيام عثمان واسعة، إذ أضيفت بلادًا جديدة في أفريقيا، وقبرص، وأرمينيا، وبلاد السند وكابل وفرغانة، وبلخ وهراة، وتم إخضاع البلاد التي نقضت الصلح في فارس وخراسان وباب الأبواب[1].

(١) البلاذري/ فتوح أرمينية.


الفتوحات في عهد سيدنا
عثمان بن عفان
القيروان
برقة
طرابلس
الإسكندرية
الفسطاط
النوبة
البحر الأسود
القسطنطينية
عمورية
قيصرية
ملاطية
أرمينية
حمص
دمشق
الكوفة
البصرة
المدينة المنورة
مكة المكرمة
صنعاء
باب الأبواب
جرجانة
اصطخر
كرمان
سجستان
جلولاء
نهاوند
همذان
الري

## حديث الفتنة (٣٤هـ/٦٥٤م):

كان الشطر الأكبر من خلافه عثمان، يسوده الأمن، والاستقرار، والرخاء، ولكن شاء الله، أن تشتعل في أواخر خلافه، فتنة كبرى، ترتب عليها مقتل الخليفة مظلومًا، وتفريق كلمة الأمة، وتمزيق وحدتها.

وربما أن من أسباب ذلك، تغير أحوال العالم الإسلامي في عهد عثمان، فقد أتسعت الدولة، ودخلت في الإسلام شعوب ذات أجناس، وأعراق، ولغات متباينة، من الصعوبة جمعهم على منهج واحد، إضافة إلى حداثة عهدهم بالإسلام، وعدم تشربه في قلوبهم.

ومن جهة أخرى، كثرة الأموال، ومال الناس إلى الترف والراحة، وقد تفرق الصحابة في الأمصار، والخليفة عرف عنه لين الجانب، الحلم والرأفة، ونبذه لسفك الدماء، إضافة إلى كبر سنه، وشيخوخته (٨٢عامًا). كل هذه المتغيرات شجعت أهل الفتن، على إشعال فتنهم، طمعًا في الزعامة والرياسة، ورغبة في تمزيق المسلمين، وتفريق وحدتهم.

فاشتعلت الفتنة العمياء، أشعلها عبد الله بن سبأ (وهو يهودي يمني ادعى الإسلام)، وكان قد دار في الأمصار، ثم استقر في مصر، وبدأ يشكك الناس في عقيدتهم، ويطعن في عثمان وولاته، ويدعو إلى خلافة علي، لبذر الفتنة والفرقة، فبدأت فتنته في الكوفة عام (٣٤هـ/ ٦٥٤م)، حيث طالبوا بتغيير الوالي، فغيره عثمان مجاراة لهم لمنع الفتنة.

قدمت الجموع الساخطة إلى المدينة لمجادلة الخليفة (وقد قدموا من الكوفة والبصرة ومصر في آن واحد) وتصدى لهم عليٌ، وشرح لهم خطأ تصرفاتهم، كما دافع الخليفة عن نفسه دفاعًا مقبولًا، فقفل الثائرون راجعين.

أدرك ابن سبأ أنه هزم. وأن الفرصة التي عمل لها سنوات أوشكت أن تضيع. فأعمل الحيلة وتدبر أمره، فزور خطابات وأختام على لسان الخليفة، وعلي وعائشة رضي الله عنهم تتضمن نداءات بخلع الخليفة، وتولية علي، وقتل المتمردين.

### استشهاد الخليفة (٣٥هـ/٦٥٦م):

فعاد هؤلاء المتمردون إلى المدينة، فحاصروا دار عثمان، أرسل عثمان إلى الولاة يطلب إرسال جند إلى المدينة.

اختل النظام في المدينة، طلب عثمان من الصحابة الذين معه ألا يقاتلوا، وألح عليهم في ذلك، فقد أراد أن لا يحدث شيء بسببه.

وصلت الأخبار بقرب وصول المدد، فخاف المنحرفون، ودخلوا دار عثمان، عبر السور، فقتلوه، ونهبوا بيت المال، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، وكان ذلك في ذو الحجة عام (٣٥هـ/ ٦٥٦م) فكانت مدة خلافته (١٢) عامًا.

**ملاحظة**: ولعل من المناسب أن نذكر أن القتلة الحقيقيين كانوا قلائل عرف منهم الغافقي الذي فر، ولم يعرف الآخرون. ولهذا أسند قتل عثمان إلى الثائرين المتمردين، مما وسع الهوة وسبب ألوانًا من النكبات عانى منها العالم الإسلامي.

### من فضائل عثمان رضي الله عنه:

- اشترى بئر أرومة وجعلها للمسلمين.
- وهو أول من وسع مسجد الرسول ﷺ، استجابة لرغبة الرسول ﷺ حين ضاق.
- جمع القرآن الكريم.

- اختلفت القراءات في الديار الإسلامية، فجمع عثمان آكد القراءات الثابتة عن الرسول ﷺ في دفتي مصحف، وأمر بحرق باقي المصاحف. والرسم العثماني هو الذي يسير عليه المسلمون في قراءاتهم إلى الآن[1].

- وله أفضال كثيرة لا يسع المجال لذكرها.



(١) الخلفاء الراشدون/ محمود شاكر (ص ٢٤٨).



## الفصل الرابع

## علي بن أبي طالب (٣٥- ٤٠هـ) (٦٥٦- ٦٦١م)

### حياته وإسلامه:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب -ابن عم الرسول ﷺ-، وزوج ابنته فاطمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

تربى منذ طفولته في بيت الرسول ﷺ، وأسلم ولم يبلغ العاشرة، فكان أول من أسلم من الأولاد، فنشأ على الإسلام. بات في فراش الرسول ﷺ عند هجرته مع علمه أن الموت محيط بهذا الفراش، فكان بذلك أول فدائي في الإسلام. ثم سلم الودائع التي كانت عند النبي ﷺ لأصحابها، فهاجر إلى المدينة. كان في أغلب غزوات الرسول ﷺ من الأبطال الكبار، وكانت شجاعته مضرب الأمثال، وكان بالغًا الغاية في الفصاحة، ولا يشق له غبار في العلم.

في عهد الصديق، كان ملازمًا له، وتوفي الصديق وهو عنه راضٍ.

وعندما تولى عمر، كان عليٌّ أشد الملازمين له، وكان عمر يستشيره. وبعد أن طُعن عمر، كان علي أحد الستة من أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر ليولوا أحدهم أمر المسلمين.

فتولى عثمان الخلافة، وكان علي بجانبه، يساعده في تسيير شؤون الدولة، وأثناء الحصار كان أبناء عليٍّ من المدافعين عن عثمان.

### خلافته:

بعد مقتل عثمان اختاره المسلمون أميرًا لهم، فلم يقبل، فأصر الصحابة عليه، للخلاص من المأزق الذي وقعوا فيه، وكانت أوضاع المدينة قد تدهورت وسيطر المنحرفون عليها، فقبل الإمارة وهو زاهد بها، غير راغب فيها، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائله.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**أنت مني وأنا منك**»[1]، وقوله ﷺ: «**لأعطينَّ الراية غدًا رجلًا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله**»[2].

### سياسة عليٍّ:

معروف عن عليٍّ رضي الله عنه الصرامة والحزم والصلابة والشدة في الحق.

### معركة الجمل (البصرة) (٣٦هـ/٦٥٦م):

لم يبايع معاوية بن أبي سفيان والي الشام عليًّا، إذ كان يطالب بدم عثمان، وكان عليٌّ أجل هذا الأمر لعدم استقرار الأوضاع، بذا خرجت الشام عن الطاعة، واستقل بها معاوية، فقرر الخليفة قتاله. فخرج إليه علي، وكان علي نقل العاصمة من المدينة إلى الكوفة، وفي هذه الأثناء خرجت عائشة ومعها الزبير وطلحة وجماعة من مكة إلى البصرة بغية الإصلاح بين المسلمين، فوصلوا إلى هناك.

فغير علي خط سيره من الشام إلى البصرة، وأرسل لعائشة ومن معها يبين لهم سوء عاقبة فعلهم، وتسرعهم، فاقتنعوا بكلامه، وساروا إلى معسكرة لإجراء المصالحة.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

كاد الفريقان أن يصطلحا، فخاف ابن سبأ وجماعته المنحرفة، ورأوا ضرورة نشوب القتال، ونجحوا في إشعال الحرب بين الفريقين لأسباب تافهة.

التحم الفريقان، ولم يستطع عليٌّ إيقاف القتال، وقد اشتدت المعركة أمام الجمل الذي يحمل هودج عائشة (فسميت معركة الجمل).

هزم جيش البصرة، وأكرم علي عائشة وأعادها إلى مكة، وكانت هذه أول معركة بين طرفين مسلمين، فواصل بعدها مسيره إلى الشام.

### معركة صفين (شرق الشام) (٣٧هـ/٦٥٧م):

حدثت بين علي ومعاوية، فقد سارت الرسل بين علي ومعاوية بدون نتيجة، حتى عسكر الفريقان في صفين، ونشب القتال، وقتل الكثير من الطرفين، وكاد علي أن ينتصر، فرفع أهل الشام المصاحف، وطلبوا تحكيم كتاب الله، فتوقف القتال، والتقى حكما الفريقين، ولم يصلا إلى اتفاق، وكتبت صحيفة التحكيم. وعادت الجيوش إلى بلادها.

### الخوارج ومعركة النهروان (٣٨هـ/٦٥٨م):

الخوارج هؤلاء كانوا من ضمن جيش علي، فخرجوا عليه بعد التحكيم واعتزلوه، لأنه قبل التحكيم، وطالب هؤلاء بالعودة لقتال معاوية، فرفض طلبهم فانحازوا إلى منطقة حروراء، وصمموا على القتال، ثم أن هذه الجماعة أخذت تزداد وتتجمع في منطقة النهروان، فأخذوا يقتلون المسلمين، ويعيثون فسادًا في الأرض. فخرج إليهم علي وجادلهم طويلًا، وبين لهم خطأ مذهبهم بكل طريقة، فارتدع قسم منهم.

أما القسم الآخر فصمموا على القتال، فنشب القتال، وأبادهم علي تمامًا، ولم ينج منهم إلا عدد قليل تفرقوا في البلدان، فتكونت لهم فيها جماعاتهم[1].

### خروج مصر:

هذه الأمور شجعت أهل الشام أكثر على عدم المبايعة، وعلى التوسع، فسار عمرو ابن العاص إلى مصر، واحتلها، وحكمها عام (٣٨هـ/ ٦٥٨م)، وبذلك اتسع سلطان معاوية.

### مقتله:

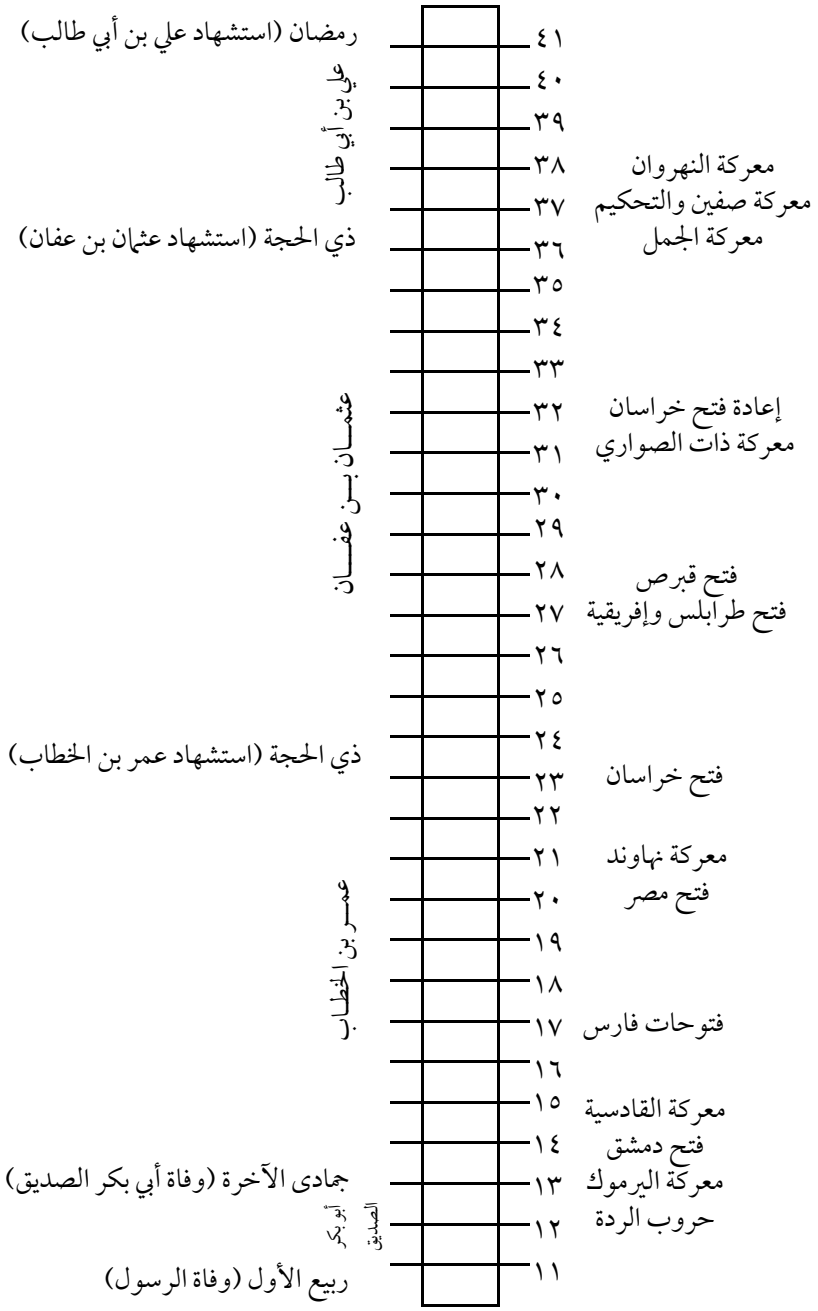
قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم أثناء خروجه من صلاة الفجر في رمضان عام (٤٠هـ/ ٦٦١م)، فكانت خلافته خمس سنوات.

### مبايعة الحسن بن عليٍّ:

بايع الناس الحسن بن علي، فاستمر (٦) أشهر، رأى خلالها تخاذل أصحابه، وضرورة اتفاق الأمة، ففضل الصلح، وتنازل لمعاوية عن الخلافة في ربيع أول عام (٤١هـ/ ٦٦١م) (وسمي عام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد).

انتهت بمقتل عليٍّ الخلافةُ الراشدةُ التي سارت على نهج الله تمامًا.

(١) الملل والنحل/ الشهرستاني (ص ١٠٧).




**أهم الأحداث في عهد الخلفاء الراشدين**